أ ــ فالصنف الأول ، وهم الخواص : تكون طريقة دعوتهم وتعليمهم بالحكمة : أي المقالة المحكمة الصحيحة والدليل الموضح للحق المزيل للشبهة ؛ لأنهم لا يقتنعون إلا بوضوح الدليل الذي يزيل شبههم ويحكم لهم القول فيهتدون إلى سبيل ربهم .

ب ــ أما الصنف الثاني ، وهم العوام : فدعوتهم وتعليمهم بالموعظة الحسنة : أي الخطاب المقنع والعبرة النافعة على وجه لا يخفى عليهم أنه ينصحهم ويقصد ما ينفعهم فهم ليسوا في حاجة إلى إحكام القول ؛ لأنهم عوام وليسوا في حاجة إلى دليل ؛ لأنهم لا شبهة عندهم .

ج ــ أما الصنف الثالث ، وهم المعاندون : فدعوتهم وتعليمهم بأن يجادلهم بالتي هي أحسن ، بالطريقة الحسنة من الرفق واختيار الوجه الأيسر ، واستعمال المقدمات المشهورة تسكينا لشغبهم وإطفاء للهب صدورهم حتى يفيئوا إلى أمر الله.([٤٧])

(١١) توجيه السؤال إلى النبي ﷺ .

وقد يكون تعليم الرسول ﷺ للمسلمين عن طريق سؤال يتوجه به أحد الصحابة إليه فيجيبه .

والدليل على ذلك ما أخرجه الإمام مسلم ــ بسنده ــ عن النواس بن سمعان ﷺ قال : سألت رسول الله ﷺ عن البر والإثم ، فقال ﷺ :-

(البر حسن الخلق ، والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس) ([٤٨])

([٤٧]) بتصرف يسير من : أصول التربية النبوية ص٤٥، ٤٦ .

([٤٨]) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة / باب تفسير البر والإثم حديث رقم ٤٦٣٢و٤٦٣٣ .
والترمذي في كتاب الزهد رقم ٢٣١١ .
وأحمد في مسند الشاميين رقم ١٦٩٧٣و١٦٩٧٤و ١٦٩٧٥ عن النواس بن سمعان ﷺ .

وعلى نفس هذا المنهج كانت النساء يسألن رسول الله ﷺ فيجيبهن .

فقد يكون السؤال على لسان امرأة ، كما في سؤال أم سلمة للنبي ﷺ عن غسل المرأة من الاحتلام .

روى الإمام مسلم ــ بسنده ــ عن أم سلمة ــ رضي الله عنها ــ قالت : جاءت أم سليم ــ رضي الله عنها ــ إلى النبي ﷺ فقالت : **يا رسول الله، إن الله لا يستحي من الحق ، فهل على المرأة من غسل إذا احتلمت ؟** فقال رسول الله ﷺ : **نعم إذا رأت الماء** . فقالت أم سلمة : **يا رسول الله أو تحتلم المرأة ؟! فقال : تربت يداك فبم يشبهها ولدها ؟!** (٤٩)

وبهذا نرى أن المنهج النبوي في التعليم وضع ضمن خطته الرشيدة تعليم المرأة ، كما احترم حقها في التعبير عن رأيها في الحق ، والصبر عليها لإزالة الدهشة والاستغراب عنها .

يقول **الأستاذ المالكي** :(ومن أسمى الطرق التربوية النبوية أنه ﷺ كان يولي السائل ــ رجلا كان أو امرأة ــ عناية ورعاية خاصة وتقديرا واحتراما وإكراما وإعظاما فيكسب السائل بذلك ثقة كبيرة وشعورا بالطمأنينة الكاملة بحيث لا تمنعه هيبة النبي ﷺ العلمية من إلقاء السؤال على أي كيفية ، ولا تصده رتبته ﷺ عن التعبير بما في مكونات الضمير ملقيا بقياده ، ساعيا في طلب رشاده ، وأنظار حضرة المربي الكامل ﷺ تحوطه من كل جانب ، وتحميه من كل منتقد أو عائب.(٥٠)

---

(٤٩) أخرجه مسلم في كتاب الحيض / باب الغسل على المرأة بخروج المني منها ١/٢٥١ ط عيسى الحلبي بتحقيق المرحوم الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي .

(٥٠) أصول التربية النبوية ص٥٧ .

(١٢) طرح سؤال من النبي ﷺ للصحابة .

ومن منهج النبي ﷺ التربوي إلقاء السؤال على الصحابة ، وقد يكون تعليم النبي ﷺ للمسلمين عن طريق سؤال يطرحه هو ليجيب عنه ، لا ليطلب من أحد إجابته ، ولكن لأمرين :-

١ـ الأمر الأول : تشويق السامع وحضور قلبه وذهنه إلى هذا الأمر الذي سيلقى عليه ، ويهتم به اهتماما خاصا .

ومثاله ما روي عن معاذ بن جبل ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ :- **(ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه ؟ قلت : بلى يا رسول الله . قال : (رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله .) (٥١)**

ويقول أحد العلماء : " فهذه الطريقة التي سلكها النبي ﷺ في تعليمه تتسم بالتشويق في الأسلوب الذي اتخذه مع هذا الصحابي الجليل فأشار إلى أسس السعادة في الدنيا والآخرة وهي الإسلام والصلاة والجهاد .

ونحن نرى أن هذه الطريقة في التعليم ـ أعني طريقة إلقاء السؤال ـ هي التي اقتبسها رجال التربية ، فيلقي الواحد منهم المسألة العلمية على طريق سؤال ، ثم يتولى هو الإجابة عنه .

٢ـ الأمر الثاني : أنه ﷺ يلقي المسألة لا ليجيب عنها ، وإنما ليختبر بها علم أصحابه وذكائهم ، أي اختبار علم السامع ودقة ذكائه .

ومثاله ما روي عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال : قال رسول الله ﷺ :- **(إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها ، وإنها مثل المؤمن ،**

---

(٥١) رواه أحمد٥/٢٣٧ ، مجمع الزوائد ٥/٢٧٣ ، وهو صحيح بطرقه .
انظر الأساس في السنة قسم العبادات للشيخ سعيد حوي ج٧ص٣٢٧١ .

فحدثوني ما هي ؟ ، فوقع الناس في شجر البوادي ، قال عبد الله : ووقع في نفسي أنها النخلة ، فاستحييت ، ثم قالوا : حدثنا ما هي يا رسول الله ؟ فقال ﷺ: " هي النخلة " (٥٢)

(١٣) إعطاء النبي ﷺ السامع فرصة للراحة والاستجمام حتى لا يمل .

ومن منهجه التربوي ﷺ أنه كان يخشى إذا استمر في التوجيه والتعليم أن يتسرب الملل إلى أصحابه أو يأخذ التعب طريقه إليهم ، فكان يعطيهم فرصة للراحة والاستجمام والتشويق لتتمكن معلوماتهم فيها في التثبيت والتذكير ، ولهذه الطريقة الرشيدة تدين مؤسسات التربوية اليوم التي استمدت نظمها الناجحة من هذا المنهج النبوي الحكيم ، فهي تعطي بعض الأيام للمتعلم على هيئة إجازه أسبوعية أو سنوية أو نصف سنوية كما نراها ونلمسها ؛ حرصا على أن لا يمل من العملية التعليمية .

روي عن ابن مسعود ﷺ قال :

كان النبي ﷺ يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السآمة علينا . (٥٣)

---

(٥٢) أخرجه البخاري في كتاب العلم / باب من رفع صوته بالعلم ١/١٧٥ .
وباب طرح الإمام المسألة على أصحابه ليختبر ما عندهم من العلم ١/١٧٨ من الفتح .

(٥٣) أخرجه البخاري في كتاب العلم / باب من جعل لأهل العلم أياما معلومة ١/١٩٧ من الفتح.
وباب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا ١/١٩٥ من الفتح .
مسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم / باب الاقتصار في الموعظة ٤/٢١٧٢
الترمذي في كتاب الأدب / باب ما جاء في الفصاحة والبيان ٥/١٤٢ .
أحمد ١/٣٧٧ ،٤٣٥. الأساس في السنة قسم العبادات ـ للشيخ سعيد حوي ـ ج١ص٩٩ . أصول التربية النبوية ص ٤٨ .

(١٤) مخاطبة الناس على قدر عقولهم.

ومن منهج النبي ﷺ التربوي ومن حكمته أنه كان يخاطب الناس على قدر عقولهم وبما يتفق مع مداركهم ، ويتناسب مع فطرهم وأساليبهم ؛ وليسوق مواعظه الحسنة في سماحة ويسر ، ويتضح ذلك فيما يلي :-

[أ] كان ﷺ يخاطب الناس بلهجاتهم :-

عن عاصم الأشعري قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :-

(ليس من أمبر أمصيام في أمسفر) يريد **(ليس من البر الصيام في السفر)** وهي لغة الأشعريين ، يبدلون اللام ميما .

[ب] رفقه ﷺ بالجاهل حتى يتعلم :- تتفاوت أفهام الناس وأعرافهم في كل زمان ومكان ؛ ولذا كان النبي ﷺ يترفق بالجاهل حتى يتعلم .

ومن أمثلة ذلك ما روي عن أبي هريرة ﷺ في الحديث المتفق عليه : أن أعرابيا أتى رسول الله ﷺ ، فقال : **يا رسول الله : إن امرأتي ولدت غلاما أسود ، وإني أنكرته** . فقال له النبي ﷺ : " **هل لك من إبل ؟** " قال: نعم. قال : **ما ألوانها ؟** قال: **حمر** . قال:" **فهل فيها من أورق**"(٥٤)؟ قال : **نعم** . وفي رواية أخرى لمسلم أيضا : **إن فيها لورقا** . قال ﷺ : **فأنى أتاها ذلك ؟** قال: **عسى أو " لعله " أن يكون نزعة عرق** .(٥٥) قال ﷺ : **وهذا عسى أن يكون نزعة عرق** .(٥٦)

---

(٥٤) الأورق : وهو الذي فيه سواد ليس بصاف : أي يشاركه لون آخر كالبياض ، ويقال للرماد أورق ، وللحمامة ورقاء .

(٥٥) العرق : بكسر العين ، هو الأصل في النسب ، تشبيها بعرق الشمرة ، ومعنى نزعه أشبهه واجتذبه إليه وأظهر لونه عليه ، وأصل النزع الجذب فكأنه جذبه إليه لشبهه به .

(٥٦) أخرجه البخاري في كتاب الطلاق / باب إذا عرض بنفي الولد ٦٨/٧ من الفتح .
مسلم في كتاب اللعان رقم ٢٠ ص١١٣٧ ط عيسى الحلبي بتحقيق عبد الباقي .
أبو داود كتاب الطلاق / باب إذا شك في الولد ٦٩٤/٢ .
الترمذي في كتاب الولاء والهبة / باب في الرجل ينتفي من ولده ٤٤٠/٤ .
النسائي في كتاب الطلاق / باب إذا عرض بامرأته وشكت في ولده ٤٧٨/٦ .

يقول **الأستاذ المالكي** مبينا الموقف التربوي من هذا الحديث :

" فلو قال له ﷺ إن اللون لا دخل له في إلحاق الولد أو نفيه ما دام أنه ولد على فراشه ، وفي مدة يمكن إلحاقه به ، لكان كافيا ، ولكنه ﷺ أراد أن يبين له وجه الحكم ؛ ليقف منه على حقيقة ويستمسك منه ببرهان ، فأعاده ووجه نظره إلى نظيرها مما هو مسلم لديه ومعلوم عنده ؛ ليقيس المجهول بالمعلوم ، ويرد المشكوك فيه إلى المتيقن منه ، وهذا يفيد أمرين :-

الأول : أنه يدخل الطمأنينة إلى نفسه بمعرفة دليل القضية .

الثاني : أنه يفتح بصيرته بالبحث والنظر فكأنه يعلمه طريقة أصولية رائعة من معرفة المقيس والمقيس عليه والعلة الجامعة بينهما ، فما أعظم هذا النبي الكريم عليه أفضل السلام وأتم التسليم . " (٥٧)

[ج] مجاراته ﷺ للمذنب حتى يقتنع بالإقلاع :- فيمتنع عن الذنب بقناعة ورضا ، ومن أمثلة ذلك ما رأيناه من شأنه ﷺ مع الشاب الذي أراد أن يؤذن له في الزنا ، فحمله ﷺ بأسلوبه وقياسه على امتناعه ، بل وعن التفكير فيه ، بل وعلى استقامته التامة .

روى الإمام أحمد والطبراني عن أبي أمامة ﷺ أن فتى من قريش أتى النبي ﷺ فقال : **يا رسول الله ائذن لي في الزنا** . فأقبل القوم عليه وزجروه ، فقالوا : مه مه ؟؟ فقال ﷺ : **أدنه** . فدنا منه قريبا ، فقال : **"أتحبه لأمك ؟ "** قال : **لا والله جعلني الله فداك** . قال : **ولا الناس يحبونه لأمهاتهم** ، قال : **" أفتحبه لابنتك ؟ "** قال : **لا والله جعلني الله فداك** . قال : **ولا الناس يحبونه لبناتهم** .. ثم ذكر له رسول الله ﷺ أخته وعمته وخالته ، وفي كل ذلك يقول الفتى : **لا والله جعلني الله فداك** .

(٥٧) أصول التربية النبوية ص٦٤ .

قال : فوضع رسول الله ﷺ يده عليه وقال : **اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه .**

قال أبو أمامة : **فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء .** (٥٨)

يقول **أ.د. محمد عجاج الخطيب** : لقد اتبع رسول الله ﷺ أسلوبا جعل الفتى يدرك أثر الزنا في المجتمع ، وكيف أن الناس جميعا لا يرضونه لأنفسهم وأهليهم كما أنه لا يرضاه هو لذويه ، مما حمله على الاقتناع بالإقلاع عنه ، وخير الأمور ما كان الدافع إليه من قرارة النفس .(٥٩)

يقول **أ.د. محمود عمارة** موضحا هذا الموقف بأسلوبه البليغ :-

وعندما استأذن شاب رسول الله ﷺ في الزنا ، لم يستطع الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ صبرا على هذه القنبلة التي فجرها الفتى المندفع ، وإن كادوا ليفتكون بالفتى المنساق بالغريزة الغلابة .

ومن خلال هذه السحب الداكنة استوعب ﷺ الموقف كله بحكمته ، في محاولة للاستعلاء بالفتى ، وكسر شوكة الغريزة في كيانه .

لقد كان من الممكن أن يرتكب هذا الفتى جريمته في الخفاء وبلا استئذان يفضحه بين قومه ، لكنه لم يفعل ، وتقدم بمنتهى السذاجة يستأذن استئذانا لا يساويه في قبحه إلا الجريمة نفسها . ومع هذا : فإن تلك السذاجة لتخفي من ورائها بقية من الخير ، حيث لم تطاوعه نفسه حتى يستأذن .

ويجب الإمساك بهذه البقية الباقية من الخير ، بدل القضاء عليها بالانفعال مهما كانت النوايا صادقة .

---

(٥٨) أخرجه أحمد في مسنده ج ص٣٥٧ طبعة الميمونية بمصر ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١٢٩/١ وعزاه إلى الطبراني في الكبير عن أبي أمامة .

(٥٩) السنة قبل التدوين ص٥٠ .

وعندما واجهه الرسول ﷺ بالسؤال : أتحبه لأمك ؟؟ أتحبه لأختك ؟؟
انتفض الفتى صاحيا على دقات السؤال المحرج اللاذع في نفس الوقت ، وكانت الانتفاضة طهارته من كل نوازع السوء ، وغادر المسجد وليس في قلبه شيء أبغض من الزنا .([٦٠])
وهكذا يؤثر موقف النبي ﷺ بصبره على العاصي وعدم زجره حتى يقلع عن الذنب بقناعة ورضى ، لا يعاوده أدنى قرب من الذنب أو مجرد التفكير فيه .

(١٥) استخدامه ﷺ أسلوب التدرج .

ومن منهجه النبوي التربوي ﷺ انه كان في كل أوامره ، وفي كل نواهيه منتهجا المنهج التربوي الصحيح كما علمه ربه ﷻ ، وكما جاء بذلك القرآن ، فهو لا يأمر بكل الأوامر دفعة واحدة ، ولا ينهي عن كل النواهي دفعة ، وإنما يتبع في كل هذا وذاك التدريج حتى لا يمل الناس ، وحتى لا يستثقلوا تعليمه .
منها : أنه حين بعث معاذ بن جبل ﷺ إلى اليمن زوده بالتوجيه الكافي ، وأمره أن يسير على سنن التدرج معهم .
ويدل على ذلك ما أخرجه الأئمة بأسانيدهم عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ أن النبي ﷺ بعث معاذا ﷺ إلى اليمن ، وقال ﷺ :
(ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ،

([٦٠]) العفو أو الفضيلة الغائبة ــ أ.د.محمود محمد عمارة ــ ص١١،١٢ ــ مكتبة الأزهر بالمنوفية ١٤٢٠هـ ــ ١٩٩٩م .

فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم، تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم) ([٦١])

فأنت ترى أن النبي ﷺ اتبع أسلوب التدرج في التكليف والتعليم ، فإذا ما انتقل المتعلم من الأمر الأول وفعله أعطي الثاني ، فيكون أسهل ، وهذا خير من أن يكلف المرء بما لا يعرفه ، أو لا يقوى عليه مرة واحدة .

قال **الحافظ النووي** : وفي الحديث أن الكفار يدعون إلى التوحيد قبل القتال ، وفيه أن الإمام ينبغي أن يعظ ولاته ويأمرهم بتقوى الله . ([٦٢])

يقول **الأستاذ المالكي** : كان ﷺ في كل أوامره ، وفي كل نواهيه منتهجا المنهج التربوي الصحيح كما علمه ربه ، وكما جاء بذلك القرآن ، فهو لا يأمر بكل الأوامر دفعة ، ولا ينهي عن كل النواهي دفعة ، وإنما يتبع في كل هذا وذاك التدريج حتى لا يمل الناس ، وحتى لا يستثقلوا تعليمه .([٦٣])

(١٦) إعادته ﷺ الكلمة ثلاثا حتى تفهم عنه .

وكان من هديه التربوي ﷺ إذا حدث تكلم بالكلمة ثلاثة ؛ لكي يفهم عنه أو يعقل عنه ؛ ولكي يسمعه من لم يسمعه أو يعقل ، أو يتثبت من يريد حفظ كلامه ﷺ ، فربما انشغل بكلمة عن أخرى وغير ذلك ، وحتى لا يفوت أحدهم بعض كلامه ﷺ.

([٦١]) أخرجه الأئمة :-
البخاري في كتاب الزكاة / باب وجوب الزكاة ٣/٢٦١ .
وفي باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة ٢/٣٢٢ .
وفي باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا ٣/٣٥٧.
وفي كتاب المغازي / باب بعث أبي موسى ومعاذا إلى اليمن ٨/٦٤ .
ومسلم في كتاب الإيمان / باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام ١/٢٢٨ ط دار الحديث .
والترمذي في كتاب الزكاة / باب ما جاء في كراهية اخذ خيار المال في الصدقة ٣/٢١ ، وقال : حديث ابن عباس حسن صحيح .
([٦٢]) شرح النووي على صحيح مسلم ١/٢٢٠ ط دار الحديث .
([٦٣]) أصول التربية النبوية ص٤٩ .

روى البخاري ــ بسنده ــ عن أنس بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ : **كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا حتى تفهم عنه ، وإذا أتى على قوم فسلم عليهم سلم ثلاثا .**(٦٤)

أي أن الإعادة على الطالب فيها الفهم ، أو ثبوت العلم في العقل كما في رواية الترمذي والحاكم (حتى تعقل عنه) .

(١٧) حسن أدائه ﷺ ووضوح ألفاظه .

وكان من هديه التربوي ﷺ أن يحسن الأداء ، فيفصل بين الكلمات ويوضح الألفاظ ؛ حتى يحفظ عنه ويفهمه من يسمعه .

عن عائشة ــ رضي الله عنها ــ قالت: **إن النبي ﷺ كان لا يسرد الكلام كسردكم ، ولكن إذا تكلم بكلام فصل حتى يحفظه من سمعه .**

وفي رواية :**إنما كان النبي ﷺ يحدث حديثا لو عده العاد لأحصاه .** (٦٥)

وقد كانت من عادته ﷺ ذلك حتى يدرك كلامه كل من سمعه ولا يفوت أحدهم بعضه ، ولا يشكل في ذهنه أي أمر يحول بينه وبين الفهم من عدم وضوح لفظ أو اشتباه في سمع على غير ذلك .

بل كان من هديه ﷺ أن يرفع صوته بالكلمة ويكررها حتى تسمع كلمته ، ويلتزم بفعل مأمورها والامتناع عن نهيها .

روى البخاري ــ بسنده ــ عن عبد الله بن عمرو بن العاص ــ رضي الله عنهما ــ قال : تخلف عنا النبي ﷺ في سفرة سافرناها ، فأدركنا وقد أرهقتنا الصلاة ونحن نتوضأ ، فجعلنا نمسح على أرجلنا ، فنادى بأعلى صوته : " **ويل للأعقاب من النار** " مرتين أو ثلاثا . (٦٦)

---

(٦٤) أخرجه البخاري في كتاب العلم / باب من أعاد الحديث ثلاثا ليفهم عنه ٢٢٧/١ .
وفي كتاب الاستئذان / باب الاستئذان ثلاثا ٢٦/١١ من الفتح .

(٦٥) مجمع الزوائد ١٢٩/١ وقال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح ، ورواه الطبراني في الكبير.
وانظر : السنة قبل التدوين ص٥٠ .

(٦٦) أخرجه البخاري في كتاب العلم / باب من رفع صوته بالعلم ١٧٣/١ .

(١٨) اختياره ﷺ الأيسر في معظم الأمور وبعده عن التعقيد .

وكان من هديه التربوي ﷺ اختياره الأمر الأيسر في جميع أموره ، وينهي عن التشديد والتعقيد ، يريد من أتباعه أن يأتوا الرخص كما يأتون بالعزائم ، وينهي عن التعمق في العبارة ، والتضييق في الأحكام ، ولا غرابة في ذلك كله ، فإنه ناطق بلسان الشريعة السمحة الميسرة ، ومن يتأمل سيرة الرسول ﷺ يجدها ناطقة بذلك كله فهو يغضب للحق أحيانا ، ويتحلم مع الجاهل ويصبر عليه ، بل ويرد الأذى عنه عذرا له بجهله .

روى البخاري وأحمد والترمذي ــ بسند صحيح ــ عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال : دخل أعرابي المسجد فصلى ركعتين ، ثم قال : **اللهم ارحمني ومحمدا ولا ترحم معنا أحدا** . فالتفت إليه النبي ﷺ فقال : **لقد تحجرت واسعا** . ثم لم يلبث أن بال في المسجد ، فأسرع الناس إليه ، فقال لهم رسول الله ﷺ : **إنما بعثتم ميسرين ، ولم تبعثوا معسرين ، أهريقوا عليه دلوا من ماء ، أو سجلا من ماء .** (٦٧)

وروى البخاري ــ بسنده ــ عن عائشة رضي الله عنها قالت : **ما خير رسول الله بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما ، فإن كان إثما كان أبعد الناس منه ، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها .** (٦٨)

---

(٦٧) أخرجه البخاري في كتاب الوضوء /باب صب الماء على البول في المسجد ١/٣٢٣، ٣٨٦.
وفي كتاب الأدب / باب قول النبي ﷺ : يسروا ولا تعسروا ١٠/٥٢٥ من الفتح .
وأخرج الحديث كاملا الإمام أحمد .
ومعنى تحجرت واسعا : أي ضيقت ما وسعه الله من رحمته .

(٦٨) أخرجه البخاري في كتاب المناقب / باب صفة النبي ﷺ ٦/٦٥٤ من الفتح .

وكان هديه ﷺ كذلك أيضا **في الصلاة** .

روى البخاري ــ بسنده ــ عن أبي مسعود الأنصاري قال : قال رجل : **يا رسول الله لا أكاد أدرك الصلاة مما يطول بنا فلان** . فما رأيت النبي ﷺ في موعظة أشد غضبا من يومئذ ، فقال :

أيها الناس إنكم منفرون ، فمن صلى بالناس فليخفف ، فإن فيهم المريض والضعيف وذا الحاجة.(٦٩)

(١٩) **تواضعه ﷺ وعدم غضبه إذا راجعه المتعلم.**

أما عن تواضعه ﷺ فحدث ولا حرج ، بل ولن يسع المقام في ذلك ؛ لأن هذه الصفة : " التواضع " شملت كيان النبي ﷺ كله ؛ لأنه القدوة ؛ لذا فقد كان ﷺ في تعامله مع الناس جميعا أخا متواضعا ومعلما حليما ، بل كان أبا رحيما فإذا ما أراد أن يعلم أصحابه بعض الآداب خاطبهم ألين الخطاب وأحبه إلى نفس المخاطب حتى يحببهم فيه فيحبوا ما يحدثهم به ، وهكذا ينبغي لكل معلم .(٧٠)

ومن أمثلة ذلك ما روي عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : **إنما أنا لكم مثل الوالد لولده ، أعلمكم إذا أتيتم الغائط فلا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها .** (٧١)

بل كان ﷺ قمة التواضع في أسمى معانيه ، فإذا ما أعجب أصحابه به وحاولوا المبالغة في مدحه والثناء عليه نهاهم عن ذلك ، وافتخر بأنه عبد الله ورسوله .

---

(٦٩) أخرجه البخاري في كتاب العلم / باب الغضب في الموعظة والتعليم إذا رأى ما يكره ١/٢٢٤ .

(٧٠) انظر : السنة قبل التدوين ــ أ.د. محمد عجاج الخطيب ص٥٣ .

(٧١) أخرجه أبو داود في كتاب الطهارة /باب كراهية استقبال القبلة عند قضاء الحاجة ١/ ٣،٢. وابن ماجه في كتاب الطهارة / باب الاستنجاء بالحجارة ١/١١٤ .
والإمام أحمد في مسنده ٢/٢٤٧ .

روى الإمام أحمد ــ بسند صحيح ــ عن عمر بن الخطاب ﷺ أن النبي ﷺ قال : **لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم ، فإنما أنا عبد الله ورسوله.**(٧٢)

أي لا تمدحوني ولا ترفعوني عن منزلتي كما فعلت النصارى ، فقالوا المسيح ابن الله كما زعموا ، فلم يرض أن يرفعوه عن منزلة البشر ، بل أعز ما يفخر به أن يكون عبدا لله .

بل نرى أعلى درجات تواضعه ﷺ عندما **لا نراه يغضب إذا راجعه الطالب أو المتعلم .**

روى البخاري ــ بسنده ــ عن أبي مليكة أنه قال : إن عائشة ــ زوج النبي ﷺ كانت لا تسمع شيئا لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه ، وأن النبي ﷺ قال : **من حوسب عذب** . قالت عائشة فقلت : أو ليس يقول الله تعالى ﴿ **فسوف يحاسب حسابا يسيرا** ﴾ قالت : فقال ﷺ : **ولكن من نوقش الحساب يهلك** . (٧٣)

وهكذا وجد في رسول الله ﷺ مؤهلات ، ووصف بصفات تجعل قوله ﷺ مسموعا، بل محفوظا ، مما حمل الصحابة ــ رضوان الله عليهم ــ على التفاني في حفظه ، والحض على كتابته أو تثبيته في الذهن ، والعمل به ، وتبليغه لمن بعدهم . والله أعلم . (٧٤)

(٧٢) أخرجه الإمام أحمد ٢٤/١ مسند سيدنا عمر ﷺ .
(٧٣) أخرجه البخاري في كتاب العلم / باب من سمع شيئا فراجع حتى يعرفه ٢٣٧/١ من الفتح.
(٧٤) انظر : تحفة الطالبين في مناهج المحدثين لكاتب المقال ص٢٥ .

(٢٠) تشبيه الواقع بالمحسوس حتى يثبت في الذهن ويسهل على الحفظ.

ومن هديه ﷺ في منهج تعليمه التربوي أن ينتقل بالحاضر من صورة واقعية محسوسة إلى صورة ذهنية علمية تتعلق بالإيمان أو الأخلاق أو السلوك .

وهذا أكبر سبيل لتثبيت النظرية العلمية وتجسيدها أمام الناظر ويدل على ذلك ما يلي :-

أ ــ ما رواه مسلم ــ بسنده ــ عن عبد الله بن عمر ﷺ قال : قدم على رسول الله ﷺ سبي ، فإذا امرأة من السبي تبتغي إذا وجدت صبيا في السبي أخذته فألصقته ببطنها و أرضعته ، فقال لنا رسول الله ﷺ : **أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار ؟ قلنا : لا وهي تقدر على أن لا تطرحه . فقال رسول الله ﷺ : الله أرحم بعباده من هذه بولدها .** (٧٥)

وفي رواية أخرى معناها : أنه ﷺ رأى امرأة من السبي وقد اندفعت وراء طفلها ناسية حالتها ، فأخذته ووضعته على ثديها وكأنها ليس بها شيء ، فقال ﷺ :**أرأيتم رحمة هذه الأم بولدها أو فرحها بولدها ؟** قالوا: نعم . قال : **فالله أرحم بعبده أو أفرح بتوبة عبده من فرح هذه الأم بولدها .** (٧٦)

ب ــ ومن ذلك أيضا ما جاء عن جابر ﷺ أن رسول الله ﷺ مر في السوق والناس عن جانبيه ، فمر بجدي أسك (أي صغير الأذن) ميت ، فتناوله فأخذ بأذنه ثم قال : **أيكم يحب أن يكون له هذا بدرهم ؟** فقالوا :

---

(٧٥) أخرجه مسلم في كتاب التوبة رقم ٤٩٤٧ .
(٧٦) أخرجه البخاري في كتاب الأدب رقم ٥٥٤٠

ما نحب أنه لنا بشيء وما نصنع به ، ثم قال : أتحبون أنه لكم (أي بلا شيء) فقالوا : والله لو كان حيا كان عيبا أنه أسك فكيف وهو ميت ، فقال ﷺ : فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم . (٧٧)

وبالتأمل في هذا الحديث نرى أن النبي ﷺ جعل من ذلك الجدي الميت المعيب درسا علميا وموعظة نبوية في بيان قيمة الدنيا وحقيقتها ، وأنها لا تستحق منا هذا التكالب والحرص الشديد والتحاسد والتباغض ، فينتقل من قضية الجدي المحسوسة إلى قضية ذهنية علمية ، وهي عدم الحرص على الدنيا وأنها حقيرة لا تساوي ــ على سعتها في نظر البعض ــ قيمة هذا الجدي الميت المعيب ، فعلام يتقاتل الناس ويتناحرون فيها ، وعلى التافه الحقير يسارعون .

(٢١) استخدامه الوسائل العلمية الممكنة في عصره .

وكان من هديه ﷺ أن يستعمل الوسائل العلمية الممكنة ، وذلك لتقريب الحقيقة وتصويرها ، وذلك برسم صورتها وإبراز شكلها أمام المشاهد . فكان يتحدث يوما عن الأمل وطوله وكثرته ، وأن الإنسان ينتهي من هذه الحياة وآماله ورغباته كالجبال ، ولكن الموت محيط به من حيث لا يدري، فلا يشعر إلا وقد نزل به ، فقطع عليه آماله وأفسد أحواله .

---

(٧٧) أخرجه مسلم عن جابر في كتاب الزهد والرقائق رقم ٥٢٥٧ ، والترمذي عن المستورد بن شداد في كتاب الزهد رقم٢٢٤٣ ، وقال : حديث حسن ، وابن ماجه عن سهل بن سعد في كتاب الزهد رقم ٤١٠٠ و ٤١٠١ ، والدارمي عن أبي هريرة في كتاب الرقاق رقم ٢٦٢٠ ، وأحمد عن جابر ــ مسند المكثرين ــ رقم ١٤٤٠٢ ، وعن المستورد بن شداد ــ مسند الشاميين ــ رقم ١٧٣٢٧و١٧٣٣٢ و١٧٣٣٣ ، وعن ابن عباس ــ مسند بني هاشم ــ رقم ٢٨٩٠ ، وعن أبي هريرة ــ مسند المكثرين ــ رقم ٨١١٠ ، وعن عبد الله بن ربيعة السلمي ــ مسند الكوفيين ــ رقم ١٨١٩٦ / صحيح الجامع الصغير للألباني رقم ٧٠٩٦.

وقد استعمل النبي ﷺ في تقريب هذه الحقيقة رسما على الأرض ليصورها للمشاهدين ، كما جاء في الحديث عن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – فيما رواه الإمام البخاري – بسنده المتصل – عن ابن مسعود قال : خط النبي ﷺ خطا مربعا وخط خطا في الوسط خارجا منه وخط خططا صغارا إلى هذا الذي في الوسط من جوانبه التي في الوسط وقال : هذا الإنسان وهذا أجله محيط به ، أو قد أحاط به ، وهذا الذي هو خارج أمله ، وهذه الخطط (٧٨) الصغار الأعراض (٧٩) ، فإن أخطأه هذا نهشه (٨٠) هذا ، وإن أخطأه هذا نهشه هذا .(٨١)

قال **الحافظ ابن حجر** موضحا المقصود من الحديث وهدفه : " واستشكلت هذه الإشارات الأربع مع أن الخطوط ثلاثة فقط ، وأجاب الكرماني بأن للخط الداخل اعتبارين : فالمقدار الداخل منه هو الإنسان والخارج أمله ، والمرء بالأعراض الآفات العارضة له ، فإن سلم من هذا لم يسلم من هذا، وإن سلم من الجميع ولم تصبه آفة من مرض أو فقد مال أو غير ذلك بغته " فاجأه " الأجل .

والحاصل أن من لم يمت بالسبب مات بالأجل .

وفي الحديث إشارة إلى الحض على قصر الأمل والاستعداد لبغتة الأجل، وعبر بالنهش – وهو لدغ ذات السم – مبالغة في الإصابة والإهلاك.(٨٢)

---

(٧٨) بالضم فيهما : جمع خط ، وفي رواية " وهذه الخطوط " .
(٧٩) جمع عرض بفتحتين : وهو ما ينتفع به في الدنيا في الخير والشر .
(٨٠) بفتح النون والهاء والشين والمعجمة ، ومعناها : أصابه .
(٨١) أخرجه البخاري في كتاب الرقائق / باب في الأمل وطوله ٢٣٩/١١ .
(٨٢) فتح الباري شرح صحيح الإمام البخاري للحافظ أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني ٢٤٢/١١ .

وقد استنبط بعض العلماء المعاصرين شيئاً من هذه المواقف التربوية من هذا الحديث فقال أكرمه الله :-

١- " أن رسول الله ﷺ كان يتبع أساليب متعددة لتقريب المعنى إلى أذهان أصحابه بالمثل ، أو التشبيه ، أو السؤال والحوار ، أو القصة ، أو كما في هذا الحديث بالرسم على الأرض للتوضيح ، فعلى الداعية أن يقتدي برسول الله ﷺ في ذلك، فهذا من أسباب نجاح الدعوة وتأثيرها في قلوب الناس وعقولهم.

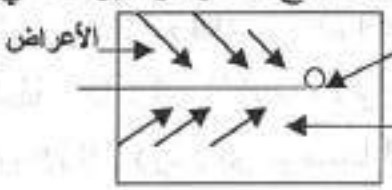

٢- أن أقرب شيء لما رسمه الأعراض رسول الله هذا الشكل .

٣- بين رسول الله ﷺ في هذا الحديث أن الإنسان محاط بأجله من كل مكان ، فلا مهرب له منه ، ولا أمل له في النجاة من الموت .

والأعراض هي كل ما يصيب الإنسان من مرض أو حادث أو مصيبة تهدد حياته بالخطر ، فهذه الأعراض كثيرة تصوب سهامها إلى الإنسان وهو في رحلته في هذه الحياة ، منها ما لا يصيبه إطلاقاً ، ومنها ما يصيبه ولا يقضي عليه ، وكلاهما تذكير للإنسان وتنبيه له بالموت ، والمؤمن يستفيد مما يحدث له في الحياة من مصائب فيزداد من الأعمال الصالحة ، وأما الغافل فلا يدري ولا يفكر ، ويظل كذلك حتى يأتيه السبب الذي يقضي عليه .

يوضح ذلك رواية الإمام أحمد عن أبي سعيد ، ولفظه : أن النبي ﷺ غرز عوداً بين يديه ، ثم غرز إلى جنبه آخر ، ثم غرز الثالث فأبعده ثم قال : **هذا الإنسان ، وهذا أجله ، وهذا أمله .**

يقول **ابن حجر** : والأجل أقرب إلى الإنسان من الأمل . ([٨٣])

(٢٢) استخدامه ﷺ الكناية عما يستقبح ذكره .

ومنهجه ﷺ في تعليمه وتربيته استخدامه الكناية في التعبير عما يستهجن باختيار الألفاظ المألوفة المعروفة التي تؤدي المقصود وتفي بالمراد من غير تصريح ، مع إمكان فهم المطلوب فهما كاملا كما لو صرح به في لفظه الأصلي .

ويدل على ذلك ما روي عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال ـ في الحديث الصحيح ـ :-

(سبعة يظلهم الله تحت ظله يوم لا ظل إلا ظله ، وذكر منهم رجلا دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله) ([٨٤])

يقول أحد العلماء مستنبطا الموقف التربوي من الحديث :-

" انظر كيف كنى عن المراد بقوله (**دعته امرأة**) ومعلوم أن المقصود أنها دعته وطلبته إلى فعل الفاحشة .([٨٥])

(٢٣) التدرج في إعطاء المعلومات .

ومن منهجه التربوي ﷺ في التعليم : التدرج في إعطاء المعلومات والانتقال بالمستفيد إلى مسألة حتى يصل به إلى ما يناسب حاله ويحل مشكلته التي وقع فيها ، كل ذلك بصدر رحب وخلق كريم وحلم عظيم دون ملل أو سآمة .

([٨٣]) ينظر الهدي النبوي في الرقائق ـ د. شرف القضاة الأستاذ بكلية الشريعة بالجامعة الأردنية ص٦٢،٦٣ ، وفتح الباري ١١/٢٤٢ .

([٨٤]) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة / باب فضل إخفاء الصدقة ٧/ ١٢٠،١٢١ .
البخاري في كتاب الأذان / باب من جلس في المسجد ٢/١٤٣ .
والرقاق / باب البكاء من خشية الله ١١/٣١٢ وغيرهما .

([٨٥]) أصول التربية النبوية ص٥٤ ، ٥٥ .

ويدل على ذلك ما أخرجه الإمام مسلم وغيره عن أبي هريرة ﷺ قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : **هلكت يا رسول الله** . قال : وما أهلكك ؟ قال : **وقعت على امرأتي في رمضان** . قال : **هل تجد ما تعتق رقبة** ؟ قال : لا . قال : **فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين** ؟ قال : لا . قال : **فهل تجد ما تطعم ستين مسكينا** ؟ قال : لا . قال : ثم جلس فأتى النبي بعرق فيه تمر ، فقال : **تصدق بهذا** ، قال : **أعلى أفقر منا ، فما بين لابتيها أهل بيت أحوج إليه منا** . **فضحك النبي ﷺ حتى بدت أنيابه ثم قال : اذهب فأطعمه أهلك** . (٨٦)

وقد استنبط بعض علمائنا الموقف التربوي من هذا الحديث فقال :

وهكذا لا ينصرف المستفيد إلا وقد وقف على حقيقة واضحة لا شك فيها ولا ريب أن الرجل تولى راضيا قرير العين ، وقد وقع في حسه أنه عضو في المجتمع وأن الأمة مسئولة عنه تهتم بأحواله وتعيش معه في مشاكله وتشاركه قضاياه ، ولو أفاده بالحكم الشرعي جملة واحدة بأن قال له : عليك أن تعتق رقبة فإن لم تجد فتصوم شهرين متتابعين ، فإن لم تجد فتطعم ستين مسكينا ، ولو أفاده بهذه الطريقة لما كان في ذلك من حرج أو نقص ،لكنه ﷺ فرغ نفسه وتوجه بكليته وأخذ يسأله : هل عندك رقبة.. وهكذا تدرج معه في الحكم حتى وصل به إلى ما يوافقه من الجواب.(٨٧)

---

(٨٦) أخرجه البخاري في كتاب الصوم / باب إذا جامع في رمضان ولم يكن له شيء فتصدق عليه فليكفر ١٦٣/٤ . وفي المجامع في رمضان ، وفي ك الهبة / إذا وهب هبة فقبضها الآخر ٢٢٣/٥ .
ومسلم ك الصيام / تغليظ تحريم الجماع في رمضان ٧٨١/٢ . وغيرهما .
(٨٧) أصول التربية النبوية ص٥٥ وما بعدها .

(٢٤) تأييده حكمه بعلة الحكم.

ومن منهجه التربوي ﷺ أنه كان يؤيد قوله في التعليم بالدليل والتعليل على صورة القياس والتنظير فيزداد قوله وضوحا ويصير حجة بعد حجة ليقف السائل على حقيقة واضحة يطمئن لها قلبه وتنشرح بها نفسه وتقر بها عينه ويعظم تمسكه بالحق ويرسخ الدليل في نفسه ، وهذه الشواهد الناطقة الدالة على ذلك بأصدق بيان وأعظم برهان .

ويدل على ذلك ما رواه الإمام مسلم من حديث أبي ذر رضي الله عنه وفيه قوله ﷺ:

(وفي بضع أحدكم صدقة) قالوا : يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟! قال : أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر . (٨٨)

وقوله (**وفي بضع أحدكم**) هو بضم الباء ، ويطلق على الجماع ، ويطلق على الفرج نفسه ، وكلاهما تصح أرادته هنا ، وفي هذا دليل على أن المباحات تصير طاعات بالنيات الصادقات ، فالجماع يكون عبادة إذا نوى به قضاء حق الزوجة ومعاشرتها بالمعروف الذي أمر الله تعالى به أو طلب ولد صالح أو إعفاف نفسه

أو إعفاف الزوجة ومنعهما جميعا من النظر إلى حرام أو التفكير فيه ، أو الهم به أو غير ذلك من المقاصد الصالحة ، فالصحابة الكرام تعجبوا من هذا الأمر ، وهو أن الإنسان يأتي أهله ويقضي شهوته ويتمتع ، ثم يثاب على ذلك ، وكان يكفي أن يقول لهم ﷺ عن الله قد قضى بذلك وحكم ، وهذا أكبر دليل وأعظم حجة ؛ لأن قول الله ﷻ وقول الرسول ﷺ هو الحجة والدليل ، ولكنه ﷺ لم يكن ليكتفي بذلك بل ذكرهم نظير هذه

(٨٨) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة حديث رقم ١٦٧٤ .وأحمد في مسند الأنصار رقم ٢٠٥٦٨ .

المسألة مما هو معلوم لديهم ومسلم عندهم ، وبهذا يترك لهم الفرصة ليفكروا وينظروا ، ويقيسوا الأشباه بالنظائر ، وينتقلوا من الغائب إلى الحاضر ، فقال لهم أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر فكذلك إذا وضعها في الحلال كان .

** ومن أمثلة ذلك ما جاء في الحديث عن النعمان بن بشير ، قال انطلق بي أبي يحملني إلى رسول الله ﷺ فقال : **يا رسول الله اشهد أني قد نحلت النعمان كذا من مالي** . فقال : **أكل بنيك قد نحلت مثل ما نحلت النعمان ؟** قال : **لا** . فقال : **فأشهد علي هذا غيري.** ثم قال :**أيسرك أن يكونوا إليك في البر سواء ؟** قال : **بلى.** قال : **فلا إذن** . وفي رواية : **فارجعه** . وفي رواية : **فارددة** . (٨٩)

وقد بين أحد العلماء الموقف التربوي في هذا الحديث فقال :-

فلو قال له ﷺ : إن هذا لا يجوز لكان كافيا ؛ لأن قوله ﷺ حجة ، وهو الدليل بلا إشكال ولا ريب ، ولكنه ﷺ بين له حقيقة الأمر ، وأظهر له علة الحكم ليوقفه على الدليل بقوله:أيسرك أن يكونوا إليك في البر سواء؟ ومعلوم أنه يسره ذلك كما أنه إن فعل وأعطى واحدا وترك الباقيين فإنهم لا يجتهدون في بره ولا يسارعون إلى مودته ، هذا إن لم يحصل منهم ما يجرهم إلى العقوق والشحناء .

فانظر إلى كمال تربية هذا النبي الكريم والرسول العظيم صلوات الله وسلامه عليه. (٩٠)

---

(٨٩) أخرجه البخاري في كتاب الهبة رقم ٢٣٩٧ ، ومسلم في كتاب الهبات رقم ٣٠٥٢ .
والنسائي في كتاب النحل رقم ٣٦١٢ .
والترمذي في الأحكام رقم ١٢٨٨ ، وقال : حسن صحيح .

(٩٠) أصول التربية النبوية ص٦٢ .

(٢٥) توجيهه إلى طلب معالي الأمور وسامي مقاصدها .

ومن منهجه ﷺ في التربية : توجيه الهمم إلى عوالي الأمـــور ومعـــالي المقاصد ، وتصوير المعاني الجليلة الراقية في إطار المفاهيم الشـــائعة ، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

أ ــ ما جاء عنه ﷺ :

(ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس) ([٩١])

فالمفهوم الشائع عند الناس أنه متاع الدنيا ، وهو كثرة العرض ، لكنه ﷺ ينبهنا إلى ما هو أعلى من ذلك في تصور معنى الغنى، وهو غنى النفس، يعني ليس الغنى المحمود ما حصل عن كثرة العـــرض والمتـــاع ؛ لأن كثيرا ممن وسع الله عليه لا ينتفع بما أولى ، بل هو متجرد في الازديـــاد ولا يبالي من أين يأتيه ، فكأنه فقير لشدة حرصه ، فالحريص فقير دائما، ولكن الغنى المحمود المعتبر عند أهل الكمال غنى القلب ، وفـــي روايـــة "غنى النفس " أي استغناؤها بما قسم لها وقناعتها ورضاهـــا بـــه بغـــير إلحاح في طلب ولا إلحاف في سؤال ، ومن كفت نفسه عن المطامع قرت وعظمت وحصل لها من الحظوة والنزاهة والشرف والمدح أكـــثر مـــن الغنى الذي يناله من كان فقير النفس ، فإنه يورطه في رذائـــل الأمـــور وخسائس الأفعال لدناءة همته ، فيصغر في العيون ، ويحتقر في النفوس، ويصير أذل من كل ذليل .

إن من رضي بالمقسوم فكأنه واجد أبدا ، ومن اتصف بفقر النفس فكأنـــه فاقد أبدا ، يأسف على ما فات ويهتم بما هو آت ، فمن أراد غنى النفـــس فليحقق في نفسه أنه ﷻ المعطي المانع ، فيرضى بقضائه ، ويشكر على نعمائه ، ويفزع إليه في كشف ضرائه .

([٩١]) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق حديث رقم ٥٩٦٥ .
ومسلم في كتاب الزكاة / حديث رقم ١٧٤١ ، والترمذي في كتاب الزهد حديث رقم ٢٢٩٥.

ب ــ ومن أمثلة ذلك أيضا قوله ﷺ : (**ليس الواصل بالمكافئ ، ولكن الواصل الذي إذا انقطعت رحمه وصلها**) (٩٢)

فالمفهوم الشائع أن الواصل لأرحامه هو الذي يجازيهم بمثل فعلهم إن صلة فصلة وإن قطعا فقطع ، ولكن النبي ﷺ يضع هنا للواصل مفهوما أعلى من المفهوم الظاهر عند الناس ، وهو أن الواصل الذي ينال ثواب صلة الأرحام ويفوز بفضلها العام هو الذي يبادر إلى مواصلتهم دون مراقبة ما يقابل ذلك مما جرت عادة الناس عليه ، وقد أشار إلى هذا المعنى بقوله (**ولكن الواصل إذا انقطعت رحمه وصلها**) وهو بهذا ينبه على أن من كافأ من أحسن إليه لا يعد واصلا للرحم، وإنما الوصل الذي يقطعه فيواصل هو ، وهذا إشارة إلى الرتبة العلية في ذلك ، وإلا فلو لم يقطعه أحد من قرابته واستمر هو على مواصلتهم عد واصلا .

ج ــ ومن أمثلته أيضا قوله ﷺ :-(**أخسر الناس صفقة رجل أخلق يديه في آماله ولم تساعده الأيام على أمنيته ، فخرج من الدنيا بغير زاد وقدم على الله تعالى بغير حجة**) أخرجه ابن النجار في تاريخه عن عامر بن ربيعة .

فالخسران في الأصل انتقاص رأس المال ، وقد استعمله ﷺ فيما هو أعم من ذلك: كالإيمان والعبادة ، وهو بهذا يوجه الأنظار إلى اعتبار الخسارة فيما هو أعلى من المال وأغلى من الجاه .

والمعنى أن أشد الناس خسارة : رجل أتعب نفسه بالكد والجهد في السعي لبلوغ آماله ، ولكن الأيام لم تساعده على حصول مطلوبه من المال

(٩٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب رقم ٥٥٣٢ .
والترمذي في كتاب البر والصلة رقم١٨٣١ ، وقال : حسن صحيح .

والمناصب والجاه ونحوها ، بل عاكسته وخذلته ، فهو لا يـزال يتشـبث بالطمع الفارغ والرجاء الكاذب ويتمنى على الله ما لا تقتضيه حكمتـه ، ولم تسبق له كلمته ، فخرج من الدنيا بالموت بغـير زاد يوصلـه إلـى الآخرة وينفعه يوم يقوم الأشهاد ، ويفصل بين العباد؛ لأن خير الزاد إلـى الآخرة اتقاء المقابح ، وهذا قد تلطخ بأقذارها القبيحة الخبيثة الروائـح ، فهو مهلك لنفسه باسترساله مع الأمل وهجره للعمل حتى تتابعت على قلبه ظلمات الغفلة ، وغلب عليه رين القسوة ، ولم يسعفه المقدور بنيل مرامه من ذلك الحطام الفاني ، فلم يزل مغمورا مقهورا مغموما إلـى أن فـرق ملك الموت بينه وبين آماله ، وكل جارحة منه متعلقة بالدنيا التي فاتتـه فهي تجاذبه إلى الدنيا ومخاليب ملك الموت قد علقت بعروق قلبه تجذبـه إلى الآخرة التي لا يريدها ، وقدم على الله تعالى بغير حجة ، أي معـذرة يعتذر بها وبرهان يتمسك به على تفريطه بتضييعه عمره النفيـس فـي طلب شيء خبيث خسيس وإعراضه عن عبادة ربه التي إنما خلق لأجلها، قال ﷻ : ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾ الذاريات ٥٦(٩٣)

د ــ ومن أمثلة ذلك أيضا :-

ما روي عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال :-

(أتدرون من المفلس ؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم لـه ومتـاع . فقال ﷺ: إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وزكاة ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضـرب هـذا ، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسـناته قبـل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار) (٩٤)

(٩٣) ينظر : أصول التربية النبوية ٦٥ : ٦٨ .

(٩٤) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب رقم ٤٦٧٨

والترمذي في صفة القيامة والرقائق رقم ٢٣٤٢ ، وقال : حسن صحيح .

والإمام أحمد رقم ٧٦٨٦و٨٠٦٢ .

ويبين ذلك أحد علمائنا فيقول :-

إن المفهوم الشائع عند الناس هو أن المفلس الذي لا مال عنده ولا متاع وبهذا أجابوا لما سألهم ﷺ ولكنه ﷺ يضع هنا مفهوما جديدا للمفلس أعلى وأكمل مما هو معلوم عندهم ، وهو بهذا يوجه أنظارهم إلى الابتعاد عن الظلم ، وهو وإن قد بين لهم هذه الحقائق في أكثر من موطن وبأساليب متعددة ، كقوله ﷺ :

(إن الله تعالى يقول في الحديث القدسي :- " **يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي ، وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا** ") (٩٥)

وكقوله ﷺ : (**اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة** .)(٩٦)

وكقوله ﷺ : (**المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يسلمه ، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة** .)(٩٧)

ولكن أبلغ من ذلك كله تغيير المفهوم الشائع عند الناس إلى مفهوم أعلى وأكمل ، وذلك بقوله " أتدرون من المفلس ، قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع . فقال :..... الحديث .

ومعناه : أن هذه هي حقيقة المفلس ، وأما من ليس له مال ، من قل ماله فالناس يسمونه مفلسا وليس هو حقيقة المفلس ؛ لأن هذا أمر يزول وينقطع بموته و(ربما ينقطع بيسار يحصل له بعد ذلك في حياته ، وإنما

---

(٩٥) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة رقم ٤٦٧٤ عن أبي ذر .
وأحمد في مسند الأنصار رقم ٢٠٤٥ .
(٩٦) أخرجه مسلم في ك البر والصلة رقم ٤٦٧٥ .
(٩٧) أخرجه البخاري / المظالم والغصب رقم ٢٢٦٢ .
وأبو داود عند عبد الله بن عمر رقم ٤٢٤٨ ، أحمد في مسند المكثرين من الصحابة ٥٣٨٨ .

حقيقة المفلس هذا المذكور في الحديث ، فهو الهالك الهلاك التام والمعدم الإعدام المقطع فتؤخذ حسناته لغرمائه ، فإذا فرغت حسناته أخذ من سيئاتهم فوضع عليه ، ثم ألقي في النار فتمت خسارته وهلاكه وإفلاسه.(٩٨)

[د] الخاتمة :- فائدة المنهج التربوي .

ومن كل ما سبق يتضح أن المنهج النبوي في التعليم اتخذ طرقا كثيرة متنوعة وجه بها الناس إلى طريق النور والكمال ، وأرسى على ضوئها أسس الحياة الطيبة ، فيتضافر المجتمع الإسلامي بكل أشكاله على تلقي الشريعة مسترشدا بآداب نبيه المعلم ، وتعاليم رسوله القائد ﷺ وحتى تتحقق على أيدي المسلمين آنئذ الفتح المبين ، وكانوا بحق خير أمة أخرجت للناس .

وهذه النقاط المذكورة ــ على تعددها إنما هي غيض من فيض وقطرة من بحر عذب سلسبيل يجري مجرى الماء الأرض القحلى فيحول جدبها إلى عطاء ، ويحول غبراءها إلى خضرة آخذة بالقلوب والبصائر ، من بحور السنة المشرفة التي حوت الخير الكثير والدواء النافع الناجع لأمراض المرء عامة ؛ لذا فإن السنة واجبة الاتباع ، والاقتداء بها شرف يستوجب الشكر ويستلزم الرضى والاقتناع .

ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة ، وفي أصحابه قدوة طيبة فعلى منهجه نسير ، وبهداه نقتدي حتى يفتح الله علينا بركات من السماء والأرض .

وبهذا نرى أيضا أن المنهج النبوي في التعليم لم يترك شيئا من شئون الدنيا والدين إلا عني به ، وأولاه اهتماما بالغا ، ووضع القواعد السليمة

(٩٨) ينظر : أصول التربية النبوية ص ٧٠ ، ٧٢ .

التي عليها قامت خير أمة ، وتكونت الدولة الإسلامية الكبرى التي نشرت العلم والحضارة بين أرجاء الدنيا بأسرها من أقصاها إلى أقصاها .(٩٩)

وبعد :- ففي المنهج النبوي الكريم أصول الصراط المستقيم والسنن المبين الواضح لدعاة الصلاح وأساتذة الإرشاد والتعليم ، وتضمن لهم إن ساروا عليها النجاح والفلاح وتحقيق المرام على أكمل وجه وأحسنه ، وفي هذه المدرسة الإيمانية ، وبتلك التربية العلمية النبوية ، وعلى ذلك المنهج الرفيع العالي تخرج رجال هم خير هذه الأمة وأبرها قلوبا ، وأعمقها علما ، وأقلها تكلفا ، وأقومها هديا ، وأحسنها حالا ، وهم الصحابة الكرام ، الذين اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ ونقل دينه ، وفضلهم وشرفهم وميزهم وخصهم وأكرمهم ورضي الله عنهم ورضوا عنه .

والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

---

(٩٩) أصول التربية النبوية للأستاذ المالكي ص .

ثبت بأهم مراجع البحث .

(١) القرآن الكريم .

(٢) الأساس في السنة ــ قسم العبادات ت للشيخ سعيد حوي ــ دار السلام ١٤١٤هـ ــ ١٩٩٤م .

(٣) أصول التربية النبوية ــ الشيخ محمد بن علوي المالكي الحسيني ــ سلسلة البحوث الإسلامية ــ السنة التاسعة والعشرون ــ الكتاب الثاني ــ ط مجمع البحوث الإسلامية ١٤١٩هـ ــ ١٩٩٨م .

(٤) تحفة الطالبين في مناهج المحدثين ــ أ٠د٠ توفيق أحمد سالمان ج١ ط١ مطبعة الفجر الجديد بمصر .

(٥) الحديث الشريف من الوجهة البلاغية ــ د٠كمال عز الدين ، ط١ دار اقرأ بيروت ١٤٠٤هـ ــ ١٩٨٤م .

(٦) السنة قبل التدوين ــ أ٠د٠ محمد عجاج الخطيب ــ مكتبة وهبة ط٢ــ ١٤٠٨هـ ــ ١٩٨٨م .

(٧) العفو أو الفضيلة الغائبة ــ د٠ محمود محمد عمارة ــ مكتبة الأزهر بالمنوفية ١٤٢٠هـ ــ ١٩٩٩م .

(٨) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ــ للإمام ابن حجر العسقلاني ــ ط المكتبة السلفية ودار الريان للتراث ١٤٠٧هـ ــ ١٩٨٧م .

(٩) كتب السنة الستة .

(١٠) مجمع الزوائد ــ للإمام الهيثمي ــ ط دار الكتاب العربي ط٣ ــ ١٤٠٢هـ ــ ١٩٨٢م .

(١١) مختار الحسن والصحيح من الحديث الشريف ــ اختيار وتعليق الشيخ عبد البديع صقر ــ مكتبة وهبة ط٣ ــ ١٤٠٢هـ ــ ١٩٨٢م .

(١٢) مسند الإمام أحمد ــ طبعة المطبعة الميمنية .
(١٣) المنهج النبوي والتغيير الحضاري ــ الأستاذ برغوث عبد العزيز مبارك ــ كتاب الأمة ٤٣ قطر ١٤١٥هـ ١٩٩٥م .
(١٤) النظم التعليمية عند المحدثين في القرون الثلاثة الأولى ــ الأستاذ المكي أقلاينة ــ كتاب الأمة ٣٤ ــ قطر ١٤١٣هـ ١٩٩٣م .
(١٥) الهدي النبوي في الرقائق ــ د.شرف القضاة ــ دار الفرقان ــ أربد ــ الأردن.
(١٦) الوفا بتعريف حقوق المصطفى ــ القاضي عياض ط الأردن .